الملتقى الدولي: تجديد الفكر الديني الإسلامي، محمد إقبال أنموذجا

الدكتورة نرجس بخوش

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المحور الثاني: محمد إقبال ومشروعه التجديدي

عنوان المداخلة: فلسفة الذات الحضارية في شعر محمد إقبال

ملخص

عُرف محمد إقبال بالفيلسوف الشاعر واشتغل على فلسفة الذات التي كانت محور فكره وشعره، قدَّم من خلالها تصورًا ومفهومًا جديدًا للذات، التي كان يعبر عنها بلفظة (خودي) في شعره، وهي لفظ فارسي الأصل، وقد استعملها إقبال بمعنًى جديدٍ بعد أن كانت تحمل في المعنى اللغوي معنى الكبر والخيلاء والزهو والأنانية والعناد والتَّمرُّد والشحّ والاستبداد، فمال بها عن الاستعمال الرائج في الفارسية والأردية، فكان استعماله لها بمعنى معرفة النفس والذات، وأنَّها جوهر الكون والحياة، وسر الوصول إلى معرفة الحقيقة.

الكلمات المفتاحية: محمد إقبال، الذات، الحضارة، الفلسفة، الشعر.

Abstract

Muhammad Iqbal was known as the philosopher poet and worked on the philosophy of the self, which was the focus of his thought and poetry. Through it, he presented a new vision and concept of the self, which he expressed with the word (Khudi) in his poetry, which is a word of Persian origin. Iqbal used it with a new meaning after it carried in the linguistic meaning the meaning of arrogance, conceit, vanity, selfishness, stubbornness, rebellion, stinginess and tyranny. He deviated from the common usage in Persian and Urdu, and his use of it was to mean knowledge of the self and the self, and that it is the essence of the universe and life, and the secret of reaching the knowledge of the truth.

Keywords: Muhammad Iqbal, self, civilization, philosophy, poetry, thought.

مقدمة

يعدُّ محمد إقبال شاعراً فذًّا، ومصنفاً شهيراً وفيلسوفاً عظيماً وداعياً إلى إحياء الإسلام في القرن الماضي، وإن اشتهر بشعره بالفارسية والأردية، إلاَّ أنَّه قد حاز سمعةً وشهرةً واسعةً بفلسفته عن الحياة التي سمَّاها (خودي) أو فلسفة الذات، وكانت هذه الفلسفة هي محور أفكاره ونظرياته، قدَّم من خلالها تصورًا ومفهومًا جديدًا للذات، يقوم أساسًا على الدعوة إلى إعادة الاعتبار للذات والرجوع إليها بتقويتها وتقديرها ومنحها الثقة الكاملة، لتتمكَّن من الخروج من حالة الاستسلام والضعف والذل والاعتماد على الغير. لقد أكثر إقبال من استخدام لفظة (خودي) (الذات) في شعره، واهتم بفلسفتها اهتماماً بالغاً، واستعمل هذه اللفظة بمعنًى جديدٍ. وإذا نظرنا إلى معناها اللغوي وجدناها فارسية الأصل، تستعمل في معنى الكبر والخيلاء والزهو والأنانية والعناد والتَّمرُّد والشحّ والاستبداد، ولكنَّه مال بها عن الاستعمال الرائج في الفارسية والأردية، فكان استعماله لها بمعنى معرفة النفس والذات، ومعرفة المواهب المخفية في داخل الإنسان، كذلك استعملها في معنى حفظ النفس من الهزيمة وحفظ الإباء من الاستسلام وحفظ الشكيمة من الانحطاط، والإيمان بأنَّ الحياة هي الحركة وليست الجمود، وأنَّها جوهر الكون وأساس نظامه وسر الحياة في هذا الكون، وأساس هذه الفلسفة هو معرفة الذات ومعرفة الرب، وكلاهما عند إقبال ضروري، فمعرفة الربّ تستند على معرفة الذات.

تهدف هذه الورقة إلى الكشف عن مفهوم الذات عند إقبال والكشف عن تجلياتها، وتجلية دور الذات في النهوض الحضاري، والكشف عن جوانب الإصلاح والتجديد مما له صلة بالذات في فكر إقبال وشعره. وقد اعْتُمد المنهج الوصفي التحليلي الذي استدعته طبيعة الورقة البحثية، وتقوم هذه الورقة على الإجابة على إشكالية رئيسة: على أي أساس قامت فلسفة الذات التي نهض عليها مشروع إقبال التجديدي؟، وما دورها في النهوض الحضاري؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية اعْتُمِدت خطة مكونة من ثلاثة محاور وخاتمة تشتمل على أهم النتائج المتوصل إليها، وهي حسب الآتي:

أولا: منابع فلسفة الذات عند إقبال

1/ مفهوم الذات في فكر إقبال

1.1/الذات في اللغة العربية

جاءت الذات في المعاجم العربية لتدل على: النفس والشخص (مجمع اللغة العربية، 2000م، ص307)، يقول الكفوي: "الذات: هو ما يصلح أن يعلم ويخبر عنه، منقول عن مؤنث "ذو" بمعنى الصاحب... وقد يستعمل استعمال النفس والشيء، فيجوز تأنيثه وتذكيره (الكفوي، د.ت، ص454.). وقد تطور معناها حتى أصبحت الذات مرادفة للشخصية.

1.2/الذات في اللغة الأردية والفارسية

الذات هي الكلمة المعرَّبة لكلمة (خودي) وهي الكلمة التي اعتمدها إقبال في شعره الأردي والفارسي، ففي اللغة الفارسية تعني القريب، وهو ضد الغريب، وأما في الأردية فهي تحمل معنيين: أحدهما إيجابي والآخر سلبيٌّ، فأما المعنى السلبي هو: الأثرة والفخر والأنانية، بينما المعنى الإيجابي فإنَّه يتضمن تعرف الإنسان على نفسه، وتقويتها والاستقلال بأمرها، وإخراج ما أودع فيها من إمكانيات، ويمكن أن يعبّر عن هذه الكلمة نظرا إلى مواضع استعمالها المختلفة بالاعتزاز بالنفس وعلو الهمة، والاعتماد على الذات، واحترام الذات، والثقة بالذات، والحفاظ على الذات؛ بل تأكيد الذات حينما يكون ذلك ضرورة لمصالح الحياة، والقدرة على التمسك بقضية الحق والعدالة والواجب، وما إلى ذلك من صفات الطموح والتطلع والتوجه إلى معالي الأمور، والتجافي عن الفتور والعجز والميل إلى سفاسف الأمور، ومن المترجمين من عبَّر عنها في العربية بالذاتية. (الندوي، 2016، ص128، 129.).

1.3/الذات في أدب إقبال

استعملت كلمة (خودي) في أدب إقبال بمعناها الإيجابي، فهو لا يقصد بها الأنانية وإنَّما العناية بالذات، وفي ذلك يقول إقبال في مقدمة ديوانه (الأسرار والرموز): "وينبغي أن يعلم القراء أن لفظ (خودي) لا يستعمل في هذه المنظومة بمعنى الأثرة، كما تستعمل في اللغة الأردية غالبا؛ إنما معناها الإحساس بالنفس أو تعيين الذات".(الغوري، 2007م، 10/1، 11). ويظهر شرح إقبال لمفهوم خودي من خلال خطاب أملاه على سيد نذير نيازي في صيف 1937، أنه حاول اختيار كلمة تجسد فكرته مثل (أنا، نفس، أنانية)، لكن الكلمة الوحيدة التي عبرت عما يخالجه هي كلمة (خودي) هذا من الناحية الأدبية، أمَّا من الناحية الخلقية يرى أن معناها احترام الذات والثقة في الذات والحفاظ على الذات، ومثل هذا السلوك خلقيٌّ في نظره، إذ إنه يساعد في إكمال قوى الذات، ويضفي عليها صلابة في مقابل قوى الانحلال والتفكك. ومن الناحية العلمية تحمل الذات حقين رئيسيين، الحق في الحياة والحق في الحرية كما تحددها الشريعة الإلهية. (خليل، 1988، ص150، 151.)

وقد عبَّر إقبال عن الذات بـ"الوحدة الوجدانية" أو "نقطة وضاءة للشعور"، بمعنى أنَّ الذات وحدة تجتمع فيها جميع عناصر الرقي والتطور وعوامل الفشل والإخفاق معا، فهي تتكون من الكثرة، ولكن هذه الكثرة تقف عند نقطة الوحدة، وتلك النقطة هي (الأنا)، ولكن (الأنا) أشعرها بنفسي، ولا يشعرها غيري، لأنه لا يمكن إدراكها بالحواس الخمس، فوصف تلك الوحدة بالوجدانية؛ أي أنها تدرك بالوجدان والشعور. (الندوي، 2016، ص170.). وليس من المعقول تعقيد هذه الفكرة والتفلسف فيها كما يقول عبد المغني: "الذات شيء عادي وليست نظرية فلسفية، يمكن أن

نشرحها بمعرفة الذات، ومعرفة حدودها، وعرفان النفس، وتزكيتها وتقويتها، وبناء الشخصية، وتربية الجوهر الذاتي، وتشكيل السلوك". (الندوي، 2016، ص171).

2 / دوافع وضع فلسفة الذات

كانت ظروف الأمة الإسلامية الصعبة والحرجة السبب الرئيس في خروج محمد إقبال بفلسفة الذاتية، قدَّم من خلالها تصوُّرًا ومفهومًا جديدًا للذات يقوم أساسًا على الدعوة إلى إعادة الاعتبار للذات والرجوع إليها بتقويتها وتقديرها ومنحها الثقة الكاملة لتتمكن من الخروج من حالة الاستسلام والضعف والذل والاعتماد على الغير. كل هذا جعله يتبنَّى خطة إصلاحٍ، فبدأ بتشخيص الداء وبعدها قدم الدواء المناسب فتوصل إلى أن أسباب الذل والضعف والتخلف راجعة أساسا إلى عزوف الأمة الإسلامية عن العمل والحركة والنشاط والاجتهاد؛ حيث ماتت الذات وفُقدت. والذات إذا ماتت فقدت الشعور بوجودها وحتى بعدم وجودها، ومن ثم تركن إلى الخمول والاضمحلال، ومن هنا استبدل إقبال نفي الذات بإثباتها وقدم مفهوما جديدا لها حيث يشعر كل فرد بأهمية وجوده .ولقد كانت أفكار بعض **التيارات الفلسفية** من الأسباب الرئيسة التي دفعته إلى وضع هذا المفهوم الجديد للذات حيث ذهبت بعض المدارس الفكرية والفلسفية منها والدينية إلى حد التقليل والتصغير من شأن الفرد (الذات) والاستهانة بقيمة الإنسان، ودعت إلى قمع الفردانية بشتى الطرق وعدَّها مجرَّد وهم من صنع الذهن إلى جانب كونها تفتقر لأي معنى ثابت قائم بذاته. ونتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي مر بها بعض الناس نشأ لديهم مقت شديد للحياة وقنوط من المستقبل وشعور عميق بالمهانة وأصبح الإنسان حقيرا في عينه، ولعل من أشهر الحركات الفكرية الداعية إلى قتل الذات مذهب وحدة الوجود في التصوف السلبي الذي يدعو بكل حماس إلى الفناء تحت شعاره المشهور(موتوا قبل أن تموتوا). ونتيجة لذلك ظهرت فلسفة متشائمة وأدبٌ متشائم، يدعو إلى الفرار من الحياة والانزال عن الناس، وقد ترك هذا النوع من الأدب والفلسفة أثرا سلبيا على الحياة النفسية والفكرية لدى الكثير من الناس، لا يعرفون لأنفسهم قيمة ولا لإنسانيتهم شرفاً (بيبي مرزاق، 2010، ص136). ولا يعرفون أنهم خلقوا لكي يكونوا خليفة الله في هذا العالم. كما ساهمت الفلسفة الغربية هي الأخرى في التقليل والحط من قيمة الإنسان على المستوى الروحي والمادي، ففي الجانب الروحي تأثرت الفلسفة الغربية بفكرة الرهبانية من الكنيسة النصرانية الداعية إلى عدِّ الإنسان مذنبًا بالفطرة والوراثة (الندوي، 1986، ص110، 111). وأمَّا الجانب المادي فقد عدَّت هذه الفلسفة الإنسان بمثابة آلة منتجة وحيوان راقٍ منتج لا يعرف إلا إشباع غرائزه. وأما حالة المسلم أمام هذه التيارات والحركات الفكرية، فقد وجد نفسه فاقد الثقة بنفسه ودينه، ونتيجة لذلك فقد السيادة والسيطرة والتحكم في بلاده. ووجد نفسه خاضعا للاحتلال الأجنبي من جهة، ومفتونا ببريق الحضارة الغربية من جهة أخرى (بيبي مرزاق، 2010، ص136).

فما كان من إقبال إلا أنه تصدَّى لفضح التيارات والحركات الفكرية، داعيا إلى بعث وإحياء الإنسان من جديد، لأنه يتمتع بإمكانيات تمكنه من تطوير نفسه، يقول إقبال: (Mohamed Iqbal. 1977. P63)

كل ما في الكون منشغل بالذات وكل ذرة متحفزة وتحلم بالعظمة
والحياة بدون هذا الحافز مرادفة للموت فبناء الذات هو كل القوة

قــوة الـذات تجعل من حبـة الخردل جبـــلا وبضعفها يصبح الجبل حبة خردل
فـهي الحــق الوحيـــد في هـــذا العالـــم أما الباقي فهـو مجـرد سراب ووهـم

فإقبال يؤكد على ضرورة السعي نحو استكمال الذات فيقول: (إقبال، 1956، ص15، 16)

شيمة الذات التجلي لا الخفـاء وهـي في الـذات بـأس وضيـاء
قـوة الـذات مـن الكون النـواه فعلى قدر القـوي قـدر الحيـاه
كلمـة الـذات تعيهـا قطـرة فـإذا القطـرة يومـا درة
وإذا العشـب نمـاء أضمـرا شـق صـدر المـرج حتى يظهـرا
شـدت الأرض قـواه فالقمـر في طـواف حولهـا لا مستقـر
وكيـان الشمس منهـا أكبـر فلهـا عيـن ذكـاء تسحـر
إن ذاتا جمعـت أسـر الحيـاة من غدير أزحـرت بحر الحيـاة

وعليه، يرى إقبال أن الهدف الأسمى للتربية والحركات الاجتماعية والثقافية، هو تغذية وتدعيم ذات الإنسان، لكي يستطيع تحقيق إمكاناته.

3/ تأصيل فكرة الذات

ممَّا لاشك فيه أنَّ جلَّ الفلاسفة وعلماء النفس أدلوا بدلوهم في مفهوم "الذات"، ولهذا بعد أن تمت ترجمة كتاب إقبال "أسرار خودي" إلى الإنجليزية، ثارت بعض الشكوك في أصالة فكرة إقبال؛ حيث زعم بعض المفكرين الغرب أنَّ هذه الفكرة قد سبق إليها كل من ديكارت ونيتشه وهيجل وشوبنهور، وغيرهم من الفلاسفة الألمان. فزعمت كل وجهات النظر أن إقبال أخذ من نيتشه، أمَّا وجهة نظر إقبال نفسه، فقد نفى بشدَّة أن يكون قد أخذ من نيتشه، أو تأثر به، وعدَّ من يقول بهذا الرأي أنَّه لا يعرف الحقيقة، وفي ذلك يقول: "كل من حاول إثبات استفادتي من نيتشه فهو لا يعرف الحقيقة، إنَّ نظريتي في الإنسان الكامل قد أبديتها وكتبت فيها قبل أن أعرف نيتشه بسنين طويلة، وقد سبق أن نشرت مقالاً في هذا الصدد منذ فترة طويلة، ثمَّ ألحقته في رسالتي للدكتوراه عن تطور ما وراء الطبيعة في إيران عام 1908م".(الندوي، 2010، ص172، نقلا عن: خان غلام عمر، 1966، ص28). وهو ما يؤكده زكي الميلاد في قوله: "حين طالعت كتاب (ما وراء الطبيعة في إيران) وجدت أنَّ إقبال لم يأت فيه على ذكر نيتشه قط، مع كثرة الأسماء التي جاء على ذكرها، وقاربت ستين اسما ينتمون إلى الفلسفة الأوربية الحديثة، وأكثرهم من الألمان". (الميلاد، 2008م).

ويعدُّ القرآن الكريم والتصوف الإسلامي المنابع الأصلية لفكرة الذات لدى إقبال:

2. 1/ القرآن الكريم

أكَّد إقبال أنَّ أساس فلسفته في الذات مأخوذة من القرآن الكريم، ويظهر هذا في إجابته عن سؤال وجَّهه له يوسف سليم جشتي عن أساس فلسفته في الذات، أجاب عنه في سنة 1911م بقوله: كنت أقرأ القرآن فتدبَّرت الآية القرآنية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ سورة المائدة: الآية 105. " فتكشَّفت لي حقيقة هامَّة، وهي أنَّ على كل مسلم أن يعمل على تقوية ذاته، ومن هنا اتَّخذت من هذه الآية الكريمة أساسًا لفلسفتي عن الذات" (إقبال، 1978م، ص28). وفي محاضرة له عن الذات الإنسانية الموسومة: (The Human Ego-His freedom and immortality)، يوضح أنَّ القرآن الكريم يؤكد على شخصية الإنساني وفرديته، من خلال التَّأكيد على أمور ثلاثة:

1. اصطفاء الإنسان: في قوله تعالى: (ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ) سورة طه: الآية 122.
2. خلافة الأرض: في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) سورة البقرة: الآية 30
3. الحرية الشخصية: في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) سورة الأحزاب: الآية 72.

وانطلاقاً من قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)،فقد اهتدى إقبال أن على كل مسلم أن يعمل على تقوية ذاته، ومن هنا اتخذ من هذه الآية أساسا لفلسفته عن الذات. (إقبال، 1987، ص24.). يقول إقبال في ديوان "زبور العجم": (الغوري، 2007، 389/1.).

فما قولي (أنا) وهي ضياء وفي (إنَّا عرضنا) ما نشاء

يرى إقبال أنَّ القرآن يهدف إلى تكوين الذات اعتمادًا وانطلاقًا من الواقع الذي تعيشه الذات على الطريقة التَّجريبيَّة، لأنَّ الاستقلال الكلي للفكر عن التجربة المحسوسة غير ممكن بتاتا ولهذا فهو يرفض ما ذهب إليه سقراط وأفلاطون اللذان يرفضان الإدراك الحسي، فهو يرى أنَّ الوصول إلى فردانيَّة عملية فعَّالة مستحيل بدون الاحتكاك مع العالم الخارجي، ومستحيل بدون التعامل مع بيئة ديناميكيَّة وملموسة. (بيبي، مرزاق، 2010م، ص140.). يقول إقبال عن أفلاطون: (إقبال، 1987، ص30)

راهب الماضين أفلاطون الحكيم من فريق الضأن في الدهر القديم
فكره في غير محسوس فُتِن صدَّ عن كفٍّ وعين وأذنْ
عالم الأشياء سمَّاه الهراء وعلت أفكاره فوق السماء
هُلك أقوام ذا الثَّمَل حُرموا بالنوم ذوق العمل

يقول إقبال: "واعتراضي على أفلاطون، هو في أصله اعتراضٌ على كل النظم الفلسفية التي تقصد إلى الفناء لا البقاء، والتي تغفل المادة، وهي أكبر العقبات في سبيل الحياة، وتدعو إلى الفرار منها، لا إلى تسخيرها والتسلط عليها".(إقبال، 1987، 121/1.). فإقبال يرى في النسق الفلسفي اليوناني الذي يتجاوز الحواس والعمل، ويحتفي بالتأمل، نسق قاصر في حين روح القرآن تحتفي بالحس والحواس والتأمل.

2. 2/ التصوف الإسلامي

يعدُّ التصوف الإسلاميُّ أحد المنابع الأساسيَّة التي استقى منها إقبال فكرته عن الذاتيَّة، فالمتصفح لكتابه (أسرار خودي) يرى أثر "**مثنوي" الرومي** واضحًا فيه، حيث يذكر إقبال في مقدمة كتابه أن الرومي له الفضل في إيقاظه وتنبيهه ودعوته لسلوك هذا المسلك، وهو يعترف للرومي بالريادة في الكثير من أشعاره، ويعدُّه بمثابة الملهم، يقول: "إنَّ القطب الرومي المرشد، وصاحب الضمير الصافي هو أمير قافلة العشق السكران، علا مقامه الشمس والقمر، يجعل من نهر المجرة حبلاً لخيمته لقد استقر نور القرآن في صميم صدره، فغدا جام جمشيد خجلاً أمام مرآته، أنَّ لموجٍ يقيم منزله في لجة بحره، أنا ذاك الذي أوتي السكرة بعد السكرة من صهبائه". (عبده، 2014م، ص10.).

ثمَّ إنَّه يعترف بفضل غيره من عظماء الصوفية فيقول: "إنَّني أعلن أنَّ فلسفة أسرار خودي برمَّتها مأخوذةٌ من مشاهدات، وأفكار المتصوفة، وحكماء الإسلام .... إنَّني لم أقدم الأفكار الجديدة في لباس قديم، ولكني أوضحت الحقائق القديمة في الأفكار الجديدة".(إقبال، 1987، ص27.). إلاَّ أنّه يعيب على المتصوفة المتأخرين أنّهم لم يطوروا من أساليبهم قائلاً: "وقد عملت المذاهب الصوفية الصحيحة عملاً طيبًا من غير شكٍّ في تكييف الرياضة الدينية في الإسلام، وفي توجيه خطاها، ولكن الممثلين لفكرة التصوف في العصر الأخير، بحكم بُعدهم عن نتائج العقل الحديث، أصبحوا عاجزين تمام العجز عن قبول أيِّ إلهام جديدٍ من الفكر الحديث والتجربة العصرية. وهم يزاولون أساليب خلقت لأجيال كانت لها نظرة ثقافيَّة تختلف عن نظرتنا نحن في نواح مهمة"؛ (إقبال، 2000م، ص3). وبل ويؤكِّد أنَّ "الروح التي طُبع بها التَّصوف في عصوره الأخيرة حجبت أنظار الناس عن ناحية مهمَّةٍ من نواحي الإسلام بوصفه دستورًا اجتماعيًّا". (إقبال، 2000، ص187)

يرى إقبال أنَّ أزمة العالم الإسلاميِّ هي أزمة أفكار، لهذا نَحَت نظرية إقبال في بدايتها المنحى الإصلاحي، أراد من خلاله تغيير المسار الذي التزمه الفكر الإسلامي منذ القرن السابع الهجري حين أخذ بمذهب وحدة الوجود، هذا الأخير شكَّك الناسَ في قيمة الذات الإنسانية، حين عدَّ وجودها وجودًا إضافيًّا منفعلاً لن يلبث أن يفنى في الوجود الحقيقي (وجود الله تعالى)، دون أن يترك أثرًا ملموسًا أو وسمًا ظاهرًا في هذه الحياة.(جمال الدين، 2000م، ص21.) فلم تعد غاية الإنسان أن يعمل كي ينال الخلود في رضا الله تعالى؛ بل غايته أن ينكر ذاته، ويعمل على إذلالها وإماتتها حتَّى تؤهل للفناء في الله، كما تفنى القطرة في البحر، وقد امتدت فكرة وحدة الوجود إلى الشعراء، فاتخذه الصوفية من أصحاب وحدة الوجود وسيلةً لبثِّ أفكارهم في النفس، فتدفق ينبوع الشعر حاملاً معه إلى نفوس المسلمين أفكار وحدة الوجود والاستسلام ونكران الذات، الأمر الذي أدَّى بهم إلى التواكل وسقوط الهمة، وازدراء العمل وتحقيره. (جمال الدين، د.ت ص21، 22).

ثانيا: فلسفة الذات الحضارية عند إقبال بين الإثبات والنفي

تقوم فلسفة الذات عند محمد إقبال على أسَّين اثنين وقف عندهما إقبال في جُلِّ مؤلفاته، هما نفي الذات وإثبات الذات، وهو ما يعبِّر به بقوَّة الذات وضعف الذات. وقد جاء ديوانه: "الأسرار والرموز"، في قسمين هما: أسرار إثبات الذات، ورموز نفي الذات.

1/ إثبات الذات الحضارية وبعثها

يقصد إقبال بإثبات الذات الاعتداد بها والأخذ بكل ما من شأنه المساهمة في تقويتها، وفي المقابل نبذ كل ما يضعفها. والسبيل إلى ذلك هو استغلال الإنسان كل الطاقات والمواهب والاستعدادات التي أودعها الله فيه، وأن يثق في تلك الإمكانات والمواهب، ويعمل على شحذها وتنميتها، عن طريق التربية الحقة الهادفة الكفيلة بتحقيق الهدف الأسمى المتمثل في إثبات الذات وتقويتها. وقد جمع إقبال بين البرهان الفلسفي والخيال الشعري لإثبات الذات، يقول: (إبراهيم، د.ت، ص12)

أثبت الذات وفيها حقِّق فضة كن بالتئام الزئبق

يرى إقبال أنَّ الذات في رحلة إثباتها تمر بثلاث مراحل حتى تصل إلى ذروة كمالها، المتمثلة في الخلافة في الأرض، وذلك من خلال:

-**إنشاء المقاصد وتوليد الرغبات**: وتكون بزرع الأمل في الذات، وتحقيق القصد هو الذي يجعل الذات مقبلة على العمل والإبداع (الغوري، 1987، 136/1). يقول إقبال: (سيد عبد الماجد، د.ت، 136/1)

إنما يبقي الحياة المقصد جرس في ركبها ما تقصد

أحي في قلبك هذا الأمل لا يحل طينك قبرا مهملا

ويقول في مقطعّ آخر: (محمد إقبال، 1087،ص40)

الحياة الحق تسخير لدنى وإلى التسخير تدعوها المنى

وقوله: (الغوري، 2000، 445/1)

لستَ لهذي الأرض والسماء وإنَّما السماء والأرض لك

-النضال المستمر والكفاح المتواصل: فالنجاح لا يتحقق إلا ببذل الجهود والعمل المتواصل، يقول إقبال: (محمد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، ص12).

فاخلق لروحك من زئيرك نشوة في المجد ترهب في العرين أسودًا

ويقول في مقطع آخر: (سيد عبد الماجد، د.ت، 296/1)

يرى قلب الشجاع الليث وهما وفي قلب الجبان الظبي ببر

فـإن تجبن رأيـت المـوج وحشـا وأن تشجـع فـإن البحـر بـر

-الإنسان الكامل: لكي يكون الإنسان مؤمنا كاملا في نظر إقبال لا بدَّ له من تحقيق شروط أساسية أهمها: الطاعة، وضبط النفس، والنيابة الإلهية بتحقيق معنى الخلافة عن الله في الأرض (الصاوي، د.ت، ص130). قول إقبال: (الغوري، 2003، 23/2)

مستسرٌّ في الذات معنى بعيد سـرُّه لا إله إلا الله

سيف الذات قاطـع غير نـاب شَحذه لا إله إلا الله

كان إقبال يرى صورة الإنسان الكامل متجسدة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، ثم في خلفائه من الصحابة الكرام، فهؤلاء وضعوا صورة عملية لما يجب أن يكون عليه الإنسان الكامل، وهذه النظرة تتقاطع مع قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) الأحزاب: 21. وهذا هو الجوهر الإنساني الذي استخدمه إقبال في مصطلح الشخصية أو(خودي) وهذا هو الذي ينحصر على تشكيله نشأة الشخصية العملاقة أو الإنسان الأعظم. (خان، د.ت، ص3).

2/ نفي الذات الحضارية

قد توهم عبارة "نفي الذات" أنَّها ضدَّ تصور إثبات الذات، وهو ما يوضحه إقبال في قوله: (الغوري، 2000، 191/2)

أنت لا تعرف خودي من بيخودي أنت لا ريب من الشك ردي

وقد حرص إقبال أن يفسِّر نظريته ويبيِّنها، و"نفي الذات"، تعدُّ التَّتمة اللاَّزمة لإثبات الذات، ولتوضيح ذلك كتَب إقبال منظومة مستقلةً باسم "رموز بيخودي" (رموز نفي الذات)، وهذا التصور بمثابة الإخلاص للآخرين، وإيثار الآخرين على النفس، ومن هنا يُكمل إقبال فلسفته بالتأليف بين الفرد والذات الكاملة، أو بين الفرد والجماعات التي

يعيش بينها، ويمكن القول: إنَّ إقبال يدعو إلى تكوين مجتمع مثالي بعيد عن الأثرة، وقريب من الإيثار بمصطلح "بيخودي" "نفي الذات". (الندوي، 2016، ص178).

نفي الذات عند إقبال تشير إلى كل الحالات التي تعبِّر عن طمس الذات ومحوها وإضعافها، وموقف إقبال من فكرة الفناء الصوفية التي تدعو إلى فناء الذات في الذات الإلهية مما ينسيه الدنيا، هو الموقف ذاته من النفي، لأنَّ كلاهما يؤدي إلى إضعاف الذات وإذلالها، ولما كان نفي الذات هو ضعف للمسلم وجب عليه أن لا يسلك مسلكه، لأنَّ الإسلام يؤكِّد أنَّ المسلم القوي هو الذي تنهض به الأمة الإسلامية، فالنَّبي صلى الله عليه وسلم يؤكِّد الفكرة بقوله: (المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف). فالأصل في المسلم أن يكون قويًّا، ولهذا يحذِّر إقبال المسلم من الانخداع ببريق الحضارة الغربية، ويشبه الضعف الذي ينجر عن ذلك بالأسد الذي تسلطت عليه قطيع الغنم، وفي ذلك يقول: (الغوري، 2003، ص 146/1).

جوهر الآساد أضحى خرفـــاً حين صار القوت هذا العلفا

ذهب الإقدام والعزم الأليـــل والسنا والعز والمجـد الأثيـــل

ونمـا الخـــوف بنقـــص المنـــة قطـع الخـوف جـذور الهمـة

نامـت الأســد بسحـر الغنـم ســمـــت العجـز ارتقـاء الأمـم

فإقبال يستنكر حال الضعف التي آل إليها المسلم، ويدعوه في المقابل إلى ضرورة التخلي عن هذا الاستكانة للضعف بغية الوصول إلى نهضة للأمة الإسلامية ورقيها.

ثالثا: معرفة الذات وبعدها الحضاري النهضوي عند إقبال

1/ أهمية المعرفة وفهم الكون

يذهب إقبال إلى أنَّ المعرفة هي الوسيلة لاستعادة المسلمين لريادتهم الحضارية، ودعاهم إلى ضرورة إصلاح مناهج التعليم، ونقلها من التقليد إلى الإبداع، ونقل المدرسة من المهنة إلى الرسالة، ودعاهم إلى الحرص على التعليم الذي يصنع الحياة، يقول: (الغوري، 2003، 137/1)

إنَّما العلـم وقـاء للحيـــاة إنَّه للـذات تقويـم النجـاة

للحياة العلم والفن خدم للحياة العلم والفـن حشـــم

والقرآن الكريم يدعو لحضارة العلم وحب المعرفة والحكمة، فقد مكَّنت المعرفة العقل المسلم من تشكيل حضارته بعد أن تعامل مع الكون والعالم والوجود بالحجم نفسه والطموح نفسه الذي جاء به الإسلام، فانعكاس المبادئ والقيم الإسلامية على الجانب المعرفي، هو ما يميز الحضارة الإسلامية، التي تعين على اقتحام شبكة النشاط المعرفي للحضارة الراهنة والقدرة الفعالة على الإسهام المستقبلي فيه (إيمان، عبد الحميد، نظرية المعرفة في مشروع محمد إقبال الفكري، ص844). يقول إقبال: "لا تنتظم أمَّة بغير شريعة الأمَّة الإسلامية "، التي تكتسي طابعا عالميا يرفض حدود الإقليمية والجغرافية والعرفية والطبيعية والمذهبية، مخاطبا الإنسان من حيث كونه إنسان متجاوز حدود الزمان والمكان، يقول إقبال: (محمد إقبال، 1987، ص514)

إنَّ المسلم لا تعرف أرضه الحدود ولا يعرف أفقه الثغور

ويقول:

إلى حدٍّ ما يوجد العقل والنظر، رخيص في الدنيا

ولا شيء يخفى هنا، فإنَّ العالم توراني

ولينظر شخص، فإلى حد ما حجاب الفطرة رقيق

لكي تظهر البسمة الحقيقية للملائكة

هذه الدنيا تدعو أولاد "أدم" للمشاهدة

فإنَّ كل مستور، منح ذوق الانكشاف

هؤلاء هم أولاد "أدم" الذين بدموعهم الدموية

جعل الله الأنهار مواجة

فغاية المعرفة عند إقبال أنها ذات طابع إيجابي، والمتمثل في تزويد الحضارة الإنسانية بقوانين الكون من أجل أن يقوم الإنسان بتسخيرها في إعمار الأرض، وإصلاحها بالمعنى الحضاري الشامل لتحقيق السعادة الأبدية للإنسانية، على عكس الحضارة الغربية التي سخرت المعرفة للتدمير والإبادة والقتل. (إيمان عبد الحميد، د.ت، ص844).

وعليه فإن نظرة إقبال لأهمية المعرفة في النهوض الحضاري مرتبطة بالرؤية الإسلامية، القائمة على القيم الإيمانية العقدية؛ وبالتالي القائمة على التوحيد، ذا الطابع الإنساني العالمي، الذي يدعو إلى التوازن بين الثنائيات، وضرورة الإيجابية في إعمار الأرض وإحيائها، وكذا الاستقلالية التي ترفض الانغلاق على الذات أو الذوبان في حضارات أخرى.

2/الإخاء بين الأديان

لعل أوضح صورة لمنطق إقبال في إخاء الأديان هو ما قدمه في ديوانه الكبير (**رسالة الخلود**)، أو كما سمّاه بالفارسية (**جاويد نامه**). ففي هذا الديوان يدوّن إقبال فكره وفلسفته في رحلة روحانية غنية يطوف فيها بين الأفلاك التسعة، ويتحدث في كل سماء إلى حكيم، ومن المدهش أن حكماء إقبال وفلاسفته لا يعكسون نمطاً متطابقاً، كأنبياء المعراج مثلاً؛ بل إنها كانت جولة عجيبة التقى فيها إقبال بالأديان كلها، مؤمنين ووثنيين وملاحدة، وأنبياء وطواغيت، وقديسين وأبالسة، ومتقين ومستكبرين، ولكنه تمكّن من حشد الحكمة على أفواههم جميعاً في منصّات السماء التي كانت تفرد لكلٍّ منهم منصّةً ومنبراً. يبدأ إقبال بمناجاة عميقة، لحائر يبحث عن نور الحق، وفي غمار مناجاته الصادقة يظهر لها فيها جلال الدين الرومي، الذي سيكون مرشد الشاعر ورفيقه في معراجه الفريد، وينطلق المشوار إلى السموات في رحلة العرفان واليقين. ويعكس جلال الدين الرومي، في معراج إقبال، دور جبريل في معراج محمد؛ فهو المرشد والدليل، وفي بريق عينيه سيتمكن إقبال من قراءة التفسير الصحيح لرسالة الحكماء والفلاسفة والأنبياء، الذين سيقابلهم إقبال في معراجه السماوي العجيب. (محمد حبش، د.ت، ص105).

في القسم الأوّل يزور إقبال القمر، وهناك يجد الحكيم الهندي جهان دوست (Jahan Dust) يمارس اليوغا الهندية، ويحدّث إقبال عن السلامة الحقيقية في هذا العالم، التي تكون باتحاد العقل والقلب والمادة والروح. ويعرف الهنود الحكيم جهان دوست باسم صديق العالمين، ولا شك في أنّ هذا الاستهلال يكشف مراد إقبال في معراجه الروحي، الذي استطاع من خلاله أن يؤسس صداقة ومحبة مع كلّ الحكماء والشعراء والفلاسفة في الأرض.

ثم يذهب إقبال والرومي إلى وادي جرغميد، وهناك يلخّص إقبال لقاءه بمن أسماهم بالأنبياء الأربعة بوذا وزرادشت والمسيح ومحمّد، ويقدّم مجموعة رائعة من إلهاماتهم العظيمة التي يتبعها الملايين في الأرض، ومع أنه لا يلتقي بهم، لكنه ينقل عن كتبهم، ويضيف أفقاً فريداً في نقل معارفهم ونبوءاتهم، فينقل حكمة بوذا على لسان فتاة راقصة، فيما ينقل حكمة زرادشت على لسان أهرمن، والعجيب أن أهرمن هو الإله السلبي في العقيدة الزرداشتية، وهو نقيض أهورا مزدا الذي يحمل الخير للناس، وينقل عن المسيح على لسان تولستوي؛ أمّا التعرف على النبي محمّد، فينقله على لسان أبي جهل!!

ومن المؤكّد أن إقبال قصد إظهار أجود ما في هذه الرسالات، واختار طرقاً غير متشابهة للتعبير عنها، ولعلّ القارئ الكريم يستغرب أن يكون أبو جهل هو من يشرح طبيعة الرسالة المحمدية. وفي الواقع، إن إقبال أراد أن يسمع الناس سبب اعتراض قريش على الرسالة ومعانيها الإنسانية في المساواة والحرية والإخاء، وهي المعاني الإنسانية النبيلة التي كان ينكرها الناس آنذاك، بوصفها طيشاً صبيانياً، لكنّها باتت اليوم على رأس حقوق الإنسان في العالم كلّه. وفي جولاته

التالية، ينتقل إقبال بين المريخ وعطارد والمشتري وزحل، ثم يصل إلى ما وراء الأفلاك، ويلتقي خلال ذلك بكثير من الأنبياء والحكماء والفلاسفة والمصلحين، ويلتزم طريقاً واحداً في اقتباس الحكمة والنور من كلّ واحد منهم، ويؤكّد أنّ الحكمة والنور قدر يتشارك فيهما البشر جميعاً، وأن من العجز أن يصمّ المرء أذنيه عمّا أودع الله في العالم من حكمة ونور في قوافل الأنبياء، ومعابد الأديان. (الغوري، 2003، ص 261).

وفي وعيه بإخاء الأديان ينطلق إقبال من حقائق قرآنية، وصولا إلى قوله بوضوح: "إن الصلاة بوصفها سلوكاً بشرياً ومنزعاً إنسانياً ظهرت في صور كثيرة: (ولكلّ أمّة جعلنا منسكاً هم ناسكوه) سورة الحج 67. فأشكال العبادة لا ينبغي أن تكون محلّ نزاع، فالقرآن الكريم أخبر أن الله يتسع لكل السالكين إليه، (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) سورة البقرة:115. (محمد إقبال، 2000، ص 106.). وهذا الفهم الذي حمله إقبال يعكس الروح الإنسانية التي تحلّى بها، وهو ما أكّده القرآن الكريم في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة البقرة 62. أمّا القبلة التي نتوجّه إليها في الحرم الشريف، فهي ذات بعد اجتماعي يحقّق التواصل والمساواة، ولا يمكن أن نفهم أن الله أقرب إلى مكّة من أيّ مكان آخر، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. (محمد حبش، د.ت، ص106).

وتطوف تأمّلاته بين الشرق والغرب، ويجتهد أن يقرأ لوحة الإيمان على كلّ الشواطئ؛ إنها الفطرة والعقل؛ إنه شيء يتدفّق من داخل الإنسان بوصفه مشروع الله وبرنامجه في الأرض. لقد كان إقبال يبحث عن الإيمان حتى في أشدّ عبارات الملحدين ضياعاً وصخباً، وهنا نلمحه يقف أمام ذكرى الحلاج وقرة العين الطاهرة وغالب ميرزا، وهما شاعران قلقان في القارّة الهندية، وقد أخذ على غالب ميرزا أنه كان مبهماً وغامضاً وعابراً للثقافات والأديان؛ أمّا قرة العين الطاهرة، فهي شاعرة إيرانية شهيرة شايعت مؤسّس الحركة البابية (الباب)، ويُعتقد أنها كانت بالغة التأثير فيه، وصرّحت بوضوح بمذهبها في استمرار النبوّات والفيض والإشراق، ودعت إلى تحرّر المرأة، وصرّحت بمخالفتها للفقه الجعفري في مسائل المرأة والميراث بشكل مطلق، وفي النهاية اعتُقلت وحوكمت في إيران وأُعدمت (1852).

وفي ديوانه (جاويد نامه) اختار إقبال عنواناً بالغ الجرأة في رحلته إلى فلك المشتري، فقال: أرواح الحلاج وغالب وقرة العين الطاهرة لم تجد لها مستقراً في الجنّة، فجعلت تطوف على الدوام، وإلى الأبد. (حنفي، 2009، ص 66.)

وفي احترامه لرسالة قرة العين الطاهرة قال إقبال: (الغوري، 2003، 263/1)

رموز العشق في روق الشقائق ... وغمّ العشق في روح الخلائق
وإن تصدّع طباق الأرض تبصر ... نصيب العشق من دم كلّ عاشق

آه لو كان اللقاء بالعيون *** لكشفت اليوم مكنون الشجون
إن للروح شفوفاً حاطها ... بهواك محيط القلب الحزين

وفي الحلّاج قال إقبال: (عزام، د.ت، ص 112)

يـــا لهـــذا العشـــق مـــن حـــرّ غيـــور ... ويـــرى الكـــون بعـــين للجســـور
ذروة للشـــــوق شمـــــس حاســـــدة ... صـــــدرها فيـــــه الســـــماء راقـــــدة

ولا شكّ في أن هذا الاحترام العميق، الذي يكنُّه إقبال لقرّة العين الطاهرة ولمنصور الحلّاج، وكلاهما من الموصومين بالزندقة في التاريخ الإسلامي بسبب ميولهما في الإشراق ووحدة الشهود، يكشف عن الأفق الكبير الذي التزمه إقبال في جانبين اثنين: حرية الإنسان وإخاء الأديان. وهذه الحقيقة التي رسمها إقبال بريشة بارعة هي التي جعلته يطوف حول المدارس والمعابد، على الرغم مما فيها من تناقضات، يبحث فيها عن الحقيقة الواحدة، فاليقين ليس صورة الحياة الخلّاقة؛ بل الشكّ والاضطراب والتلاطم، ومهما علا صياح الواعظين، واشتدّ غضبهم من المخالفين، فإن الحقيقة مستقرة هنا وهناك، وليست السماء وحدها من تنبت الزرع؛ إنه التراب أيضاً وزند الفلاح وجودة البذار، ولن تخرج إلى العالم سنبلة جديدة إلا باقتفائها من موارد متناقضة متباعدة.(محمد حبش، د.ت، ص108).

إنَّه إذاً، صدى نداء يهتفه الإنسان في كلّ أرض، ويراقص خيال الباحثين عن المثل الأعلى في كلّ أمّة وكلّ دين، وحين نقرأ عن مجتمع بلا تأمل، ولا إيمان، فنحن نقرأ عن المقابر فحسب؛ فالإنسان حيوان عابد، ولن يكون غير ذلك، وقبلته السماء وميتافيزيقيها، وسيظلّ عبداً للغيب ولو كان أسير عالم الشهادة. (حبش، د.ت، 2/ 412)

مرتجـــــــــى داود في مزمـــــــــوره ... أمـــــل عـــــاش عليـــــه الحنفـــــاء
وبـــــه موســـــى دعـــــا في طـــــوره ... ربّ فاجعـــــل كـــــلّ شـــــعبي أنبيـــــاء

خلـــــع الهنـــــدي شوقـــــاً ثوبـــــه ... ثم ألقـــــى الرحـــــل في نهـــــر بنـــــارس
دلّـــــه رحمـــــاك وارحـــــم شـــــوقه ... فلقـــــد أضـــــناه تنقيـــــب المـــــدارس

وتتفق هذه النظرة مع سياق الإمام الكبير الذي اتخذه إقبال معلماً خالداً وهو جلال الدين الرومي، الذي كان أبرز من كرّس إخاء الأديان وكرامة الإنسان، وعدّ السلوك إلى الله موقفاً عابراً للأديان والمذاهب والطوائف. وفي قصيدة فريدة ترجمها ونظمها عبد الوهاب عزام، وهي تبدو دون قصائد إقبال صورةً وشاعريةً، ولكنَّها تتَّصل مباشرة بالمقصود، سمّاها: «العالم معبد الله»، يقول إقبال: (الغوري، 2003 ، 1/ 362).

إنّمـــــا العـــــالم طـــــرّاً معبـــــد ... كـــــلّ مـــــن أحســـــن فيـــــه يعبـــــد
كـــــلّ مـــــن أدلى بقـــــول طيـــــب ... ينبـــــت الخـــــير كغيـــــث صـــــيب

كـــــلّ مـــــن أحســـــن يومـــــاً عمـــــلاً ... كـــــل مـــــن أحيـــــا مواتـــــاً همـــــلاً
كـــــلّ مـــــن في أرضـــــه قـــــد زرعـــــا

ليقيـــــت النـــــاس والعجـــــم معـــــاً

كلّ من يغرس مخضر الشجر كلّ من يحفر ****
بئـــــــــــــراً في الســـــــــــــبيل فيـــــه للإنســـــان ظـــــلّ وثمـــــر
تنفـــع الظمـــآن مـــن حـــرّ الغليـــل

كـــــلّ مـــــن يبـــــني بنـــــاء حســـــنا
كـــــلّ مـــــن أحـــــدث علمـــــاً للبشـــــر
كـــــلّ مـــــن في صـــــنعه قـــــد اتقنـــــا
ينفـــــع النـــــاس ولم يقصـــــد لشـــــر

كـــــلّ مـــــن في دهـــــره قـــــد أجمـــــلا
كلّهـــــــــم لله نعـــــــــم العابـــــــــد
فكـــــــرة أو قولـــــــة أو عمـــــــلاً
كلّهـــــم للخـــــير نعـــــم القاصـــــد

العالم كلّه معبد الله، والخلق عياله، وكل خير تبذله في الأرض هو صلاة، والعالم بستان الله، والناس في حال صلاة طالما كانوا يخدمون الآخرين ويبذلون المعروف.

خاتمة

لقد قدَّم إقبال رؤية ناضجة ومعاصرة حول الذات الحضارية في موروثه الشعري، حاول من خلالها إصلاح حياة الإنسان وتقويمها، بهدف تحقيق خلافة الإنسان الحقيقية فوق الأرض، أعطى من خلالها أهمية كبرى للذات باعتبارها محور كل فهم عميق لمقاصد الإسلام وأهدافه في فلسفته، فهو لا ينظر للمجتمعات بل للأفراد، وحولها أسَّس منظومته الفكرية الفريدة، إيمانا منه بأهميتها للمجتمعات الإسلامية، وضرورتها من أجل إعادة بناء الحضارة الإسلامية المعاصرة؛ حيث قدم لهم الطريق الواجب اتباعه من أجل أن يعودوا إلى مجدهم، الذي كانوا عليه في القرون الأولى لظهور الإسلام.

المصادر والمراجع

_إقبال محمد، ديوان الأسرار والرموز، تر: عبد الوهاب عزام (نظما)، اكمل ترجمته نثرا: سمير عبد المجيد إبراهيم، ط1، 1978م، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان

_إقبال، محمد تجديد التفكير الديني في الإسلام، تر: عباس محمود، دار الهداية، القاهرة، ط2، 2000م

_إقبال، محمد، ديوان الأسرار والرموز، تر: إبراهيم سمير عبد الحميد (نثرا)

_إقبال، محمد، ديوان الأسرار والرموز، تر: إبراهيم سمير عبد الحميد (نثرا)، المكتبة العلمية، لاهور، 1987

_إقبال، محمد، ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة (الديوان الثاني: الأسرار والرموز)

_إقبال، محمد، مقدمة ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة (الديوان الثاني: الأسرار والرموز)، تر: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط3، 2007

_بيبي، مرزاق، مفهوم الذات عند محمد إقبال، مجلة دراسات، 2010م

_جمال الدين، محمد السعيد، نقوش فارسية على لوحة عربية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2000م

_خليل، عبد الرحمن، محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، أكاديمية إقبال والشاه ولي الله الدهلوي، دلهي، 1988

_عبده، خالد محمد، محمد إقبال نحو سيرة صوفية، مجلة دلتا نون، نوفمبر 2014م

_الغوري، سيد عبد الماجد، ديوان محمد إقبال: مقدمة الأسرار والرموز، تر: عبد الوهاب عزام، دار ابن كثير، دمشق، 2007م

_الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت

_الميلاد، زكي، إقبال يحاور فريدريك نيتشه في حضور زرادشت، صحيفة عكاظ، ع2581، 11 يوليو، 2008م.

_الندوي، محمد أعظم، الذات في أدب إقبال، ص172، نقلا عن: خان غلام عمر، إقبال كا تصور خودي، حيدرآباد، إدارة ادبيات أردو، 1966

_الندوي، محمد أعظم، الذات في أدب إقبال، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الحادية والعشرون، ع84، ربيع2016/1437

_مجموعة من العلماء، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2000م